(دراسة نقدية تحقيقية لمسرحية حيهل)
للكاتب علي عبد النبي الزيدي

أ.م مصطفى لطيف عارف
جامعة ذي قار
كلية التربية
قسم اللغة العربية

مقترب أول

ما من شك إن خطاب المونودراما ما زال يواجه إلى الآن جمودا بنيويا أحال بعض ما أنجز منه إلى خطابات ميتة واقعة في شرك أجناس أدبية أخرى كالقصة والسيرة الذاتية والبوح الشعري المنفلت غير المؤسس على تقنيات بنائية محكمة ، ومرد ذلك توقف المونودراما بوصفها خطابا مسرحيا عن خلق ستراتيجيات جديدة في بث خطابها المعرفي وتشكيل نسيجها البنيوي المحمل بمستويات دلالية متعددة تتطابق مع المحمول الفكري الذي تحمله شبكة القوى الفاعلة بداخل الخطاب ، وما زالت الرؤية التقليدية عند المؤلف المسرحي هي التي جعلت من المونودراما خطابا متكلسا لا يسعى إلى مغادرة تحجره والبحث في حركة جديدة تمنح افقه الحياة مرة أخرى . لقد بقيت المونودراما تمارس الوسائل الأسلوبية نفسها في إنشاء وتكوين الحدث المسرحي ، تلك التي تعتمد على بناء الحوار المسرحي لشخصية واحدة في النص من خلال المخاطبة المباشرة مع المتلقي / القارئ ، أو عن طريق استخدام جهاز الهاتف أو المرآة أو غير ذلك من الأغراض المسرحية التي جعلت من المونودراما قصيرة النظر في ما يتعلق بفاعلية قناة الإرسال والاتصال مع المتلقي باستثناء بعض التجارب التي راحت تنشئ فهما جديدا لخطاب المونودراما سواء من خلال طريقة العرض المسرحي أو من خلال النص بوصفه خطابا لغويا ، ففي تجربة عزيز خيون لإخراج مسرحية (لو) (١) المعدة عن قصة الألم لأنطوان تشيخوف استطاع أن يوجد طريقة جديدة لتقديم المونودراما على الخشبة لعدد كبير من الممثلين يعتمد على طاقاتهم التعبيرية في تشخيص هواجس الشخصية (حمادي) ، وبذلك كسر القاعدة السائدة التي تشترط تقديم المونودراما بممثل واحد ، وفي نص مسرحية ٠ (قطط) للكاتب احمد الصالح استطاع أن يكتب مونودراما تظهر فيها شخصيات حية على الخشبة ألا أنها لا تمتلك حضور الشخصية المركزية (سعد) بل يظل وجودها حاضرا في ذاكرة (سعد) على الرغم من إننا نجدها مجسدة عيانيا على الخشبة ألا إن هذه التجارب القليلة لم تبلور إلى الآن فهما حداثويا للمونودراما بسبب أن المؤسسة النقدية لدينا لم تستطع إلى الآن تشخيص هذا التحديث الذي طرا على بنية المونودراما وستراتيجات اتصالها مع المتلقي ، أننا نجد في هذه الفرضيات التي اشتغل عليها بعضهم أطروحة نقدية تتمثل في نحت جزء من جهاز مفاهيمي نقدي يغادر مفهوم المونودراما بوصفها مصطلحا جاهزا إلى مصطلح جديد نقترحه نحن مطلقين عليه (خطاب الصوت الواحد) (٢) وهو استعارة اصطلاحية من علم السرد الذي يدرس فاعلية الأصوات السردية في الخطاب الروائي والقصصي والذي بدوره استعارة من فن الموسيقى وخاصة اصطلاح (البوليفونية) الذي يعني تعددية الأصوات ، والذي ينطبق على المسرحيات التقليدية كهملت واوديب والبطة البرية والخال فانيا ، أما الصوت الواحد فينطبق على المونودراما بوصفها كشكلا دراميا له سماته المختلفة عن الدراما بنوعيها التراجيدي والكوميدي ، وفي مسرحية (حيهل) للكاتب علي عبد النبي الزيدي تكمن احد أهم إشكاليات خطاب المونودراما بحيث أننا نجد إن المسرحية لا تغادر من حيث هيكلها البنيوي ومستوياتها الرؤيوية هذا الخطاب إلى خطاب الحداثة الجديد (خطاب الصوت الواحد) وستكشف لنا المقاربة السيميائية لهذا النص عمق هذه الفجوة التي وقعت فيها رؤية المؤلف المسرحي، رغم حرصه الشديد على

تكوين خطاب مغاير لما هو سائد في الكتابة المونودرامية .

الإحالة المزدوجة: عنوانا.

أن قرأه بنية العنوان في مسرحية (حيهل) بوصفه أول علامة مهمة من علامات النص تشير إلى تمحور العنوان حول الشخصية المركزية الغائبة(حيهل) وهو الابن الذي تنتظر الأم عودته من الحرب وتكون الدمية(حيهل) الدب الصغير،بمثابة معادل موضوعي لحيهل الغائب ،بحيث تصبح الدمية الحاضرة تجسيدا للابن الغائب ،وتتجلى هذه الثنائية في الكشف عن جدلية الحضور والغياب التي تهيمن على النص على وفق الترسيمة الآتية :

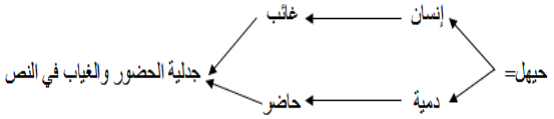

من هذا الغياب والحضور تتشكل جدلية الحضور والغياب في النص،ويساعد هذا الحضور المادي للدمية في الكشف عن خصائص الابن الغائب، بحيث أن الدمية تأخذ فضاء معرفيا جديدا هو فضاء الإنسان الذي تحيل إليه،أي أن الشخصية الوحيدة في المسرحية(الأم)تقوم بأنسنة الدمية من اجل الكشف عن الخواص الإنسانية للغائب ،ويشكل غياب الدمية في الخطوة السابعة من المسرحية إيذانا بتهشيم الوهم الذي تعيشه الأم والذي يفضحه صوت المذياع عندما يكشف لنا أن المرأة عاقروانها لا تعاشر سوى وهم خلقته هي لنفسها،كما أن الحضور المادي للدمية وغياب الدمية،يولد لدينا في حركته العامة ثنائية الداخل والخارج ،هذه الثنائية التي تتوزع على صوت المذياع وعلى المنظار الذي ترقب به الأم حركة الخارج إضافة إلى حركة الداخل التي تولدها معاناة الأم في مناجاتها الطويلة مع الدمية حيهل الغائب/الحاضر واتصالاتها التليفونية مع معارفها،بحيث نجد أننا نكتشف حركة الخارج من فضاء الدمية المؤنسن أيضا ،وإذا أجرينا محاولة لتفكيك بنية العنوان إلى مقطعين مورفولوجيين واستكشفنا ما يمكن أن تولده عملية التفكيك من معنى نجد أن العنوان يحيل إلى معان جديدة دالة على فضاء النص وحركته الدرامية كما في الترسيمة التالية :

حي ← الابن = الوهم

هل ← جاء = الانتظار (فعل)

فالمقطع المورفولوجي (حي) يشير إلى الابن الذي تنتظر الأم عودته،الذي نكتشف –فيما بعد- انه ليس ألا وهما بداخل الأم ،والمقطع الثاني (هل) يشير إلى الفعل (جاء) الذي يؤشر بدوره إلى فعل الانتظار الذي تمارسه الأم ،وبذلك تتولد لدينا مفارقة مهمة نكتشف من خلالها أن فعل الانتظار الذي كانت تمارسه ألام من اجل مجي ولدها ليس هو في حقيقة الأمر ألا فعل تكشف الوهم ،أي أن نتائج فعل الانتظار تأتي بمردود عكسي يتقاطع مع هدف الشخصية المركزية ،وبذلك تكون بنية العنوان من صلب النسيج البنيوي العام للنص وملبية لمستوياته الدلالية.

بيئة ألإغراض .

يمكن القول أن البيئة المشهدية التي تتحكم بالحركة السينوغرافية بداخل النص بيئة تعتمد على فاعلية الأغراض المسرحية في توليد الحدث ،على الرغم من أن النص يشير إلى إن المكان هو غرفة نوم ،ويبدو أن هذه الغرفة لا تشابه الغرف التقليدية ،فالأغراض التي تتوزع في الغرفة تحيلها من غرفة واقعية إلى غرفة ذات فضاء غرائبي ينسجم مع حركة الحدث المسرحي بداخل النص ،تقول ملاحظة المكان:(... فضاء المسرح يمثل غرفة نوم يتوزع فيها :سرير نوم ،إطارات صور معلقة على الجدران،مهد،كيسان كبيران،الأول فيه ملابس،والثاني يحتوي على ظروف رسائل ،منظار يرتكز على ثلاث ركائز وضع على نافذة الغرفة ،هاتف ،مذياع)(٣) والملاحظ إن جميع مفردات المكان مفردات واقعية ،ألا أن استخدمها مع سياق الحدث يعطي لبعض منها وظيفة أخرى غير وظيفتها الواقعية ،بل يحملها معنى جديدا يوحي أو يحيل إلى معاني النص الخفية ولنرى الترسيمة التالية لتوضيح ذلك:

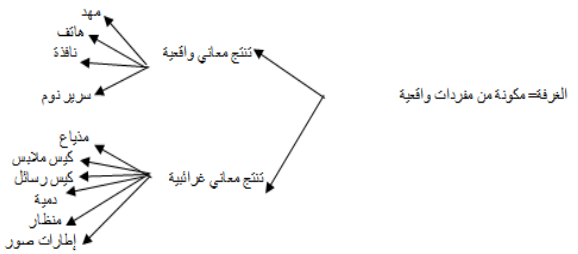

ولتوضيح طبيعة المعاني الواقعية التي تنتجها المجموعة الأولى في النص نجد إن المهد يستخدم بدلالته الواقعية لنوم الأطفال رغم الطفل هنا مجرد دمية،وهذا يثير نوعا من الغرابة في استخدام المهد ،أما الهاتف فهو يشكل هنا وسيلة اتصال مع الأخر/الخارج الذي نعرف من خلاله ما يأتي:

١-العلاقات الاجتماعية للام.

٢-صداقات حيهل الابن(تأريخه الشخصي) الغائب.

٣-مواقف متباينة عن الحرب الدائرة في الخارج (أم جابر وعم مجيئي ابنها مثل حيهل،احمد الذي يريد

الذهاب للحرب ،أم صالح التي لم يأت ولدها ،داود وإقدامه المبتورة ،سالم لم يذهب للحرب أيضا)(٤) ٠ أما سرير النوم فلا يأخذ غير الوظيفة التزينية للمكان ولا ينتج أي دلالة أخرى ،النافذة للمراقبة ولا تغادر وظيفتها الواقعية ،أما المذياع فيأخذ وظيفة مزدوجة فهو أولا ينقل أخبار الخارج ويكشف عنها ويفصح أو يعري الداخل ويكسر الوهم بداخله (مصارعة الأم إنها عاقر وان ابنها الذي تنتظره كذبة خلقتها هي) أما المجموعة الثانية التي تنتج معاني غرائبية ،فبالإضافة إلى المذياع واستخدامه ألغرائبي نجد أن استخدام الإطارات الفارغة للتعبير عن السنوات الخمس والعشرين من عمر حيهل تنتج دلالة للتعبير عن أن الأم كانت بداخل هذا الوهم٠فالاطارات الفارغة تعبير عن عدم وجود الابن /الغائب المفترض لدى إلام وسقوط هذه الإطارات في نهاية المسرحية تعبير عن سقوط الأمل بداخل الأم،أما المنظار الذي يستخدم هنا للتعبير عن الرؤية ،فلا شك أن مكان استخدامه ليس الغرفة إلا أن توظيفه للرؤية في الغرفة يأتي منسجما مع المعنى ألغرائبي للغرفة ٠ إما كيس الملابس والرسائل فهو دليل على أن هذه الأشياء أصبحت مجرد نفايات وضعت في أكياس،وألا فان مكانها الطبيعي هو خزانة الملابس أواحدى مجراتها٠ أما الدمية/الدب ،فهي هنا تعطي معنى الأسنان لأنها – كما قلنا- تتعامل معها الأم على أنها تعبير عن الابن الغائب ،ويشكل اختفاؤها في الخطوة السابعة بمثابة التمهيد لحركة النص للكشف عن عمق الوهم الذي تعيشه الأم٠

ولا نستطيع أن نخفي مسألة مهمة فيما يتعلق هنا باستخدام هذه الأغراض فأنها – في الغالب- تستخدم لتوليد الفعل المسرحي ودفعه إلى الأمام كاستخدام الهاتف للاتصال بالخارج،أو المخاطبة للدمية مباشرة أو عن طريق سماع الأخبار من المذياع والتعليق عليها وكلها وسائل تؤكد الفعل المسرحي وتولده وتدفع به إلى الأمام وبذلك تكون بيئة الأغراض التي يعتمدها النص بيئة فاعلة٠

القوى المفردة٠

ليس ثمة قوى فاعلة متشعبة في هذه المسرحية،إذ تقتصر المسرحية على فاعل واحد هو(الأم)وهي ترغب في مجيئي أبنها (المفعول به)بدافع من غريزة الأمومة (المرسل)إرضاء لنفسها(المرسل إليه) بينما نجد هناك معارضا في بداية المسرحية،أي (الحرب) التي تمنع مجيئي الابن قبل أن نكتشف من خلال صوت المذياع /المعارض الثاني في نهاية المسرحية،أن الأم عاقر،بينما لا نجد هناك من يساعد الأم على تحقيق رغبتها في الحصول على الابن/الغائب،ولذلك تبقى خانة (المساعد) فارغة طوال المسرحية٠

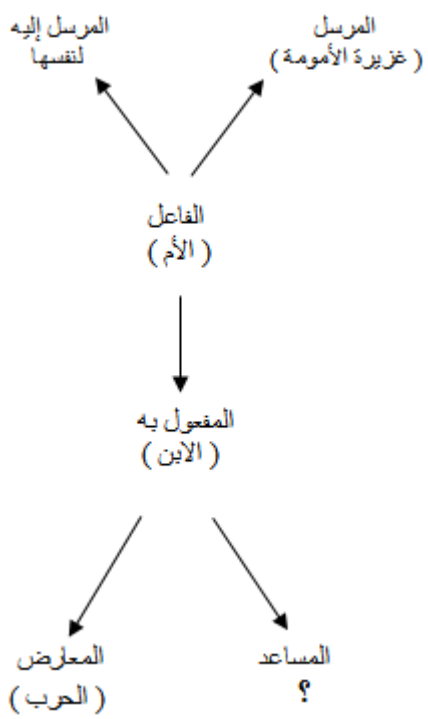

الزمن الأستذكاري٠

في المسرحية نجد زمنين،الأول هو زمن الحدث المسرحي الذي نشاهد فيه الأم وهي تنتظر ابنها وزوجها الذي راح يبحث عنه في الحرب وتعاملاتها اليومية مع معارفها عبر الهاتف،والثاني هو زمن ارتدادي ترتد به الأم إلى الوراء وتستعيد ذكريات وجود أبنها معها كحديثها مثلا عن سماعها ومشاهدتها لابنها مع حبيبته ، أوتذكراتها حول طفولة حيهل،إلا أن هذا الزمن لايأتي بطريقة السرد ألمشهدي كما هو الزمن الأول بل يأتي عن طريق السرد الحواري(القصصي)،وبذلك تنتفي فاعلية هذا الزمن وحركته بداخل البينة الزمنية للنص ،وبين هذين الزمنين ثمة زمن ثالث لاتبدو ملامحه واضحة إلا في حدود ضيقة ،ويبدو أنه جاء بصورة عفوية داخل الحركة الزمنية للنص دون تأسيس مسبق ،وأقصد به (الزمن ألغرائبي) المتمثل بالاختفاء الغريب للدمية داخل الغرفة ،والمحادثة التي تدور بين صوت المذياع والمرأة ،وكان من الممكن أن يكون هذا الزمن أكثر فاعلية في إضفاء مسحة رائبية على زمن النص لو أحسن النص استخدامه٠

الأسماء ٠

لايميل النص إلى أعطاء أسماء محددة للشخصيات بداخله ،فهو يعطي شخصية (الأم) هذه الصفة للتدليل على أنه لايعني أما معينة ،بل يمكن أن تنطبق على عدد غير محدد من الأمهات ،أما الاسم

المفترض (حيهل) فهو كما أشرنا في دراستنا لبنية العنوان يمتلك مدلولات عديدة لا تحدد كونه أسم علم دالا على شخص محدد، خاصة في تفكيكنا للمقاطع المورفولوجية لهذا الاسم وكشف بنيته العامة وغير المحددة ، أما الأسماء الأخرى التي ترد في النص مثل(أم صالح،سالم،داود،أحمد،أم جابر،زينب٠٠٠) فهي لأتخرج عن نطاق الجانب البيئي الذي أراد النص أن ينتمي إليه رغم مافي دلالة اسمي (الأم،حيهل) من عمومية ولا تحديد ،وقد يعطي هذا انطباعا أن هذا النص يحاول أن يعادل بين العناصر الخاصة والعامة في أنجاز نسيجه البنيوي٠

سيميائية التقطيع ألمشهدي ٠

يميل النص إلى اعتماد أسلوب التقطيع ألمشهدي في عرض الحدث المسرحي معبرا به على شكل خطوات (٩ خطوات) تنتهي كل خطوة بعبارة (انتقال إلى ٠٠٠)،بينما نجد أن الحدث المسرحي لا يعتمد إستراتيجيات تواصلية تؤهله لأن يكون خطابا حداثويا نطلق عليه (خطاب الصوت الواحد)،ولذلك فان استخدام التقطيع ألمشهدي هنا ليس إلا لعبة شكلية يريد النص بها أن يوهم القارئ/ المتلقي أنه ينتمي إلى خطاب الحداثة ،والحقيقة أنه لا ينتمي إلا إلى جنس المونودراما التقليدي٠

خاتمة٠

وبعد فان هذه المقاربة الموجزة لاتدعي الإحاطة الشاملة للنص والمجتمع الذي يعيش بداخله من الأنساق العلامة،فقد جرى إهمال العديد من اشتراطات التحليل السيميائي للنصوص الأدبية ليس بدافع الزهد بهذه الاشتراطات ،بل بدوافع زمن الأمسيات المسرحية التي لاتتحمل الإطالة والآراء النقدية المتشعبة ،إلا أن هذه الاسهامة البسيطة يمكن إن تكون مفتتحا لإسهامات أخرى أكثر غنى فيما لو وجدت فرصتها في الظهور إلى الآخرين وأقامة الحوار معهم٠

حياته

ولد الأستاذ علي عبد النبي الزيدي في مدينة الناصرية عام ١٩٦٥ م(٥)،من أبوين عراقيين٠ دخل الابتدائية في مدرسة النضال عام ١٩٧١ م٠ وعند انتهاء دراسته الابتدائية التحق بمتوسطة الناصرية عام ١٩٧٧م ٠ انتقل إلى إعدادية الناصرية في عام ١٩٨٠ م٠(٦)

ثم حصل على الدبلوم العالي٠

اهتم منذ نعومة أظفاره بالمطالعة ،وقراءة الأعمال المسرحية الكبيرة ... تأثر بشكل كبير بمسرح اللامعقول ، وتحديدا بالكاتب الأمريكي يوجين يونسكو فقد وجد في كتابه ضالته وخصوصا في بداية كتابته المسرحية في عام ١٩٨٤ .

إذ كتب أول مسرحية بعنوان (نقطة بداية) التي أخرجها المرحوم جاسم العسكر .

عاش الأديب علي عبد النبي حياة مليئة بالعوز والفقر ، إذ لم تكن العائلة تعرف ما هو الفن والأدب والمسرح ، ولكن يعود الفضل الكبير لقراءته المتعددة في تكوين وعي وأسلوب فني في الكتابة والتأليف .

أصبح كاتبا مسرحيا ملتزما .

وفي التسعينات أخذت كتاباته تنحوا منحا آخر صنفها بعض النقاد تحت مسمى ((القرف الساخر)) .

نشر العديد من القصص القصيرة في المجلات والصحف العراقية ، والعربية ، كذلك نشر العديد من الدراسات المسرحية .

يعمل حاليا في مجال الأعلام التلفزيوني بوصفه معاونا إعلاميا لمكتب قناة العراقية الفضائية وتلفزيون الناصرية .

مؤلفاته :-

أ- المخطوط :-

١- مسرحية نقطة البداية ، إخراج جاسم الصكر ،عام ١٩٨٤ .

٢- مسرحية حقائق في زمن الحرب ، أخراج جاسم الصكر ، عام ١٩٨٤ .

٣- مسرحية ثار العاشق ، أخراج جاسم الصكر ، عام ١٩٨٥ .

٤- مسرحية صهيل ، أخراج ياسر البراك ، ١٩٩٤ .

٥- مسرحية حول محور ثابت ، أخراج ، زيدان حمود ، عام ١٩٩٥ .

٦- مسرحية الواقعة ، أخراج ياسر البراك ، عام ١٩٩٦ .

٧- مسرحية الذي يأتي صرخة ، أخراج جاسم الصكر ،عام ١٩٩٥ .

٨- كوميديا الأيام السبعة ، أخراج ياسر البراك ، عام ١٩٩٦ .

٩- مسرحية جيل رابع ، أخراج زكي عطا ، عام ١٩٩٥ .

١٠- مسرحية ثامن أيام الأسبوع ، أخراج حيدر مكي ، عام ٢٠٠٠ .

١١- مسرحية في التاسعة ظهرا ، أخراج احمد موسى ، عام ٢٠٠٣ .

١٢- مسرحية افتراض حادث فعلا ، أخراج احمد موسى ، عام ٢٠٠٤ .

١٣- بلغني أيها المتفرج السعيد ، أخراج فيصل عبد عوده ، عام ٢٠٠٦ .

١٤- مسرحية ما بعد هملت ، أخراج فيصل عبد عوده ، عام ٢٠٠٦ .

١٥- الآن في العصر الحجري (مجموعة قصصية) .
١٦- مسرحية حيهل (مخطوطة) .

ب-المطبوع :-

١- ثامن أيام الأسبوع : مجموعة مسرحية : دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ،٢٠٠١.
٢- عودة الرجل الذي لم يغب : مجموعة مسرحية : دار نشر اتحاد الكتاب العرب ٢٠٠٥.

الجوائز التي حصل عليها :

١- جائزة مجلة الأقلام الأولى عام ١٩٩٣ عن نص مسرحية (الذي يأتي)
٢- الجائزة الثانية في مسابقة يوسف العاني للتأليف المسرحي عام ١٩٩٦ عن مسرحية (قمامة).
٣- جائزة أفضل نص مسرحي عام ١٩٩٦ عن مسرحية (كوميديا الأيام السبعة) في البصرة .
٤- الجائزة الأولى في مسابقة حامد خضر للتأليف المسرحي عام ٢٠٠٠ عن نص مسرحية (ما كان الآن من أمر لسندباد) .
٥- الترتيب الرابع في مسابقة الشارقة للإبداع العربي عام ٢٠٠١
٦- جائزة أفضل نص مسرحي في مهرجان منتدى المسرح في البصرة عام ٢٠٠١ عن نص مسرحية ثامن أيام الأسبوع .
٧- الجائزة الثالثة في مسابقة الجيل الواعي المقامة في دولة الكويت لكتاب المسرح العربي عن نص مسرحية ٠ مطر صيف) .

حيهل
(مسرحية ذات فصل واحد)
تأليف:علي عبد النبي الزيدي

الخطوة الأولى:

(فضاء المسرح يمثل غرفة نوم،يتوزع فيها :سرير،إطارات صور معلقة على الجدران،مهد كيسان كبيران ،الأول فيه ملابس ،والثاني يحتوي على ظروف رسائل ،منظار يرتكز على ثلاث ركائز وضع على نافذة الغرفة،هاتف،مذياع،الأم تنظر بالمنظارالى مكان بعيد ٠٠ بعدها تذهب ناحية المهد)٠

الأم:حيهل ٠٠ صغيري،لم لا تنهض من النوم،لقد كنت تصحو كل يوم في وقت مبكر،آن لك إن تقوم طفلي الحبيب ٠٠ تبدو كسولا هذا الصباح ،يجب إن تغير ملابسك ،كالمعتاد قد فعلتها على نفسك ،انهض٠٠ لقد جهزت لك قنينة الحليب ،غسلت قطع القماش الأبيض التي تلفك في دفء على الدوام،الم تمل هذا المهد ٠٠ أعلم ٠٠ لم تنم ليلة البارحة،كنت تبكي بألم لايطاق،تصرخ بقوة،لم تكن جائعا،بكاؤك أفزعني (تصرخ به) ماذا تريد ؟٠٠٠ أوه٠٠٠ لاتبك يا صغيري،انك تثير في البكاء،لم هذه الدموع تسقط على وجنتيك بحزن،قم يا حيهل٠٠ هيا٠٠٠ (تحمل من المهد دمية على شكل دب صغير ،أبيض اللون !! تذهب ناحية المنظار،تنظر بواسطته) سيأتي حيهل !! لابد إن أمرا طارئا جعله يتأخر،ولكنه آت ،صدقني٠٠٠ (انتقال إلى ٠٠٠٠٠)

الخطوة الثانية :

الأم :ماذا يحدث لك أيتها الأم؟ قلق يفزع صمتك ،يجتاح هدوء غرفتك،فيحيل رأسك مزرعة من علامات الاستفهام (تنظر بواسطة المنظار)٠٠ سيضع بصمات قدميه على الطرقات المؤدية إلى شوقي العارم ٠٠ لا تبطئ يا حيهل ،اختصر المسافات ،تعال بسرعة ،اللهفة المستعرة تحرق ذاكرتي الصارخة ٠٠ (تترك المنظار٠٠ تتحدث مع الدمية ٠٠ أي الدب) في أي منزلق أنت؟ أتحترف المكوث وسط الجحيم ؟ اختزل كل اللحظات الميتة،وانطلق ٠٠ إنا بحاجة أليك ،حاجتي إلى نبضات قلبي ،أتستطيع أن تبرر هذا التأخير؟ (تصرخ الدمية) تكلم،لم تصمت يا بني (تهدأ٠٠ تفتح زر المذياع)٠٠

صوت المذياع: تفيد الأخبار الوردة من مكان القتال إن هجوما كبيرا قد شن ليلة البارحة،وسنوافيكم بتفاصيل المعركة في وقت لاحق٠٠٠

الأم:(تغلق المذياع بخوف ٠٠ تذهب ناحية المهد ،تحمل الدمية) الرصاص يشتد يا حيهل،الشظايا تملا الدروب،هو الحريق إذن ،لابد إن تأتي ،إنا قلقلة عليك ،رسائلك لم تعد تأتي هي الأخرى،زمن طويل٠٠ مضى على ذهابك إلى هناك!٠٠

(انتقال إلى ٠٠٠٠)

الخطوة الثالثة:

الأم : (تتحدث مع الدمية)

خرج أبوك يبحث عنك ،قال:لن آتي إلا ومعي حيهل،يا لفرحتي٠٠ سيدخلان معا ،ستكون مفاجأة مدهشة ٠٠ علي إن احضر الحمام ،لابد إن غبار المعركة قد غطى ملامحها٠٠ أنهكهما تعب الطريق ،أختنقا بدخان الانفجارات ،لقد أخبرني في رسالته الأخيرة أن موضعه تتساقط منه حبات الرمل ،فتقع تارة في عينيه وأخرى في شعر رأسه ،ملابسه،جيوبه٠٠ وعندما تمطر السماء فذاك أمر لا يستطيع وصفه ،يصحو الليل كله٠٠ ينتظر أن تتوقف زخات المطر التي امتزجت مع رشقات المدافع وهي ترسل صواريخها بلا توقف ،الملابس تمسي قطعة ماء،ويظل ينزح الماء من الموضع٠٠ لحظتها يأتي الفجر ويقدم معه قصف جديد أشد عنفا من الليل ٠٠ يخلع عن عينيه النوم ،يبتر الصمت من جذوره تماما ٠٠ لاباس يا روحي ،سينقضي كل شيء ،وتعود إلى دفء غرفتك التي أواظب على تنظيفها دائما ،أمسح عنها الأتربة ،أتعلم

،إن نور غرفتك لم ينطفئ منذ ذهابك ٠٠ (تنثر كيس الرسائل) أربعون يوما وساعي البريد لم يطرق بابنا ويسلمني رسالة تجدد الحياة في ٠٠ قد لا تملك ورقة وقلما،أو ضاعت في زخم الرسائل المرسلة إلى الأمهات النائحات مثلي٠٠ ربما لا تملك الوقت لكتابتها،لكنك آت لا محالة٠٠ (تقرأ رسالة قديمة) : أمي الطيبة،أنا بخير٠٠ لا أفكر الابرؤيتك وأبي ٠٠٠٠٠

(انتقال الى٠٠٠٠٠)

الخطوة الرابعة :

الأم : (تنثر كيس الملابس في الغرفة)

لا أدري أي الملابس يرتدي؟ (ترفع سماعة الهاتف) من المتكلم؟ أهلا امي٠٠ أنت أيضا قلقة،سيأتي حيهل وأبوه معا ٠٠ اطمئني،هما الآن في طريقهما إلى البيت ،مع السلامة ٠٠ (تعيد السماعة٠٠ تذهب ناحية المهد) ٠٠ لم تبكي يا حيهل نم يا صغيري،أنت الآخر يلفك القلق ،اللعنة على القلق،ألف لعنة ،دعك من الحياة وضجيجها (تحدق في الدمية وكأنها تراها لأول مرة) يبدو وجهك شاحب اللون،جسدك الممتلئ واهن القوى ،ماذا بك ياحيهل؟ نم بهدوء ياطفلي(ترفع سماعة الهاتف) من أنت؟ أم جابر٠٠ أوه يا عزيزتي٠٠ سنحتفل جميعا بمقدم حيهل،لن أدعه يذهب مرة أخرى إلى – هناك- سندعوكم بالتأكيد يا صديقتي الطيبة، سيكون يوما رائعا ٠٠ جابر هو الآخر لم يعد؟ لا بأس عليك٠٠ إلى اللقاء(تعيد السماعة،تذهب ناحية المنظار٠٠ تنظر بواسطته)٠٠ الكل بانتظار عودتك يا بني (تترك المنظار) الهاتف لا يكف عن الرنين !! (ترفع السماعة)٠

من المتكلم ؟ أحمد٠٠ أهلا يا بني ،سيأتي صديقك حيهل ،سيفرح كثيرا عندما يجدك بانتظار عودته،ماذا تقول؟ أنت أيضا ستذهب ٠٠ أوه ،كلا،لايمكن (بيأس)أهلا بك يا بني!!(تعيد السماعة) ماذا حدث؟ (ترفع السماعة) أهلا يا أم صالح،هل من أخبار جديدة عن ولدك صالح؟ لم يعد؟ ليس لك سوى الانتظار يا عزيزتي ٠٠ مع السلامة (تعيد السماعة)٠

(انتقال إلى ٠٠٠٠٠)

الخطوة الخامسة :

(الأم تصغي إلى صوت مقدم الأخبار بلهفة كبيرة)

صوت المذياع:ما زالت المعركة في أشد حالاتها،وما زال طرفا القتال في حالة تأهب قصوى لهجوم مقابل كبير،سنزودكم بالتفاصيل عند ورودها ألينا (تغلق المذياع)٠

الأم : (تنظر بواسطة المنظار) لاشيء سوى الموت ،الدمار،الخوف ٠٠٠ (تترك المنظار،تحتضن الدمية بقوة) آه يا صغيري ،الكل تكالب ضدي،أنا أم تضطرب نبضات قلبها للأخبار القاسية ،خمسة وأربعون عاما تكفي لامرأة مثلي أن ينال منها خبر واحد ،يدمر خلاياها المتبقية ٠٠ أنا أتحدث معك يا طفلي،تكلم ،قل أي شيء،الرتابة تحاصرني٠٠٠ الانتظار مؤلم يا حيهل ، لا شيء سوى المطبخ٠٠ ذلك العالم الذي يؤطرني بين أواني الطهي ورائحة الطعام التي لا تثيرني البتة، الوقت يمضي فيه لكي أشبع بطني ليس الأ ،يا الهي ٠٠ انك نائم ! (تضعه على المهد بهدوء) نم يا روحي ، ماذا بإمكاني إن افعل الآن ؟ أسال من ؟ الجميع كحيهل ٠٠ ذهبوا حيث الحريق ،ولم يأتوا ! (ترفع السماعة) من المتكلم ؟ داود ! كيف حالك ؟لا تبدو بخير؟ حيهل ؟ لا أدري ٠٠ قدماك المبتورتان كيف أصبحتا ؟ ألم يتوقف النزف بعد ،تآكل جيد !! رباه ٠٠٠ أعلم ، أنت قعيد الكرسي ٠٠٠ سننتظر جميعا يا عزيزتي (تعيد السماعة) ماذا علي عمله ؟ لقد تأخرا كثيرا (تنظر بواسطة المنظار) الطرقات تخلو من وقع أقدامها المتعبة ، الفراغ يسود في الشوارع ،سكون رتيب يغطي البيوت ،سأم هذا الكرسي – الفراغ- الذي يقبع عنده منذ زمن، الهاتف مرة أخرى !! (ترفع السماعة) تفضل ، أنا أم حيهل، وأنت سالم ؟٠٠ مرحبا بك ،ماذا حدث لك يا سالم ؟ متى عدت ؟ أنت لم تذهب ؟ ماذا أصابك؟ حيهل لم يأت بعد، وأنت؟٠٠٠٠ (تعيد السماعة)٠

(انتقال إلى ٠٠٠٠٠)

الخطوة السادسة :

الأم : (تتحدث مع الدمية) خمسة وعشرون عاما وأنت معي يا حيهل، أنت طفلي، حياتي دونك تبدو بلا طعم ،بلا هدف ،ليس سواك يا عزيزي ، أنظر إلى هذه الصور الجميلة (تشير إلى إطارات الصور الفارغة المعلقة) أنظر٠٠ خمس وعشرون صورة ،كل سنة – صورة- مذ كنت طفلا إلى إن أصبحت رجلا ٠٠ ما أعظم إن ترى أطفالك يكبرون أمام ناظريك ،ويعشقون أيضا ٠٠ لاأدري لماذا لم تتصل زينب إلى الآن ،لابد أن أمرا طارئا منعها ٠٠ هي على اتصال دائم معي ،أطمئن يا حبيبي ،سأحطبها لك عندما تعود ،عد فقط كل شيء سيكون على مايرام ،حبيبتك زينب ستكون لك ،ولك وحدك ، أعلم جيدا بمشاكساتك معها ،كنتما تلتقيان خفية ، كنت أسمع كلمات عشقكما المليئة بالصدق ، وعندما تسمع زينب صوت أبيها يناديها بقوة ٠٠ لاتعرفان أين المفر،لا أخفي عليك سرا ٠٠ لقد تحدثت مع أم زينب بالموضوع، وقد فرحت كثيرا ،قالت حيهل – زينة الشباب- عد فقط يأبني وسأزوجك إياها (تتوقف عن الحديث مع الدمية ٠٠ تفتح زر المذياع) صوت المذياع : وصلنا توا مايلي: المعركة تشتد ضراوة ،ويستخدم الطرفان الأسلحة كافة وبإعداد هائلة جدا ،سنعلن عن أعداد الضحايا في خبر آخر٠٠٠ (تغلق المذياع بهلع)٠

(انتقال إلى ٠٠٠٠)

الخطوة السابعة :

الأم : الأخبار لا تعلن عن الموت،لاشيء سواه،من يثلج صدري بخبر عنك يا حيهل(تذهب ناحية المهد ٠٠ تجد أن الدمية قد أختفت ،تصرخ بقوة) حيهل ٠٠٠٠ !!

طفلي الحبيب ، أين أنت ؟ لم تختفي هكذا؟ لماذا لم تقل لأمك؟ (تبحث في الغرفة بقلق)حيهل ٠٠ صغيري لم ترحل دوني؟ (تبحث بعجلة أكثر) ما هذا المزاح المر؟ أخرج يابني٠٠ دعني أحتضنك ، أقبلك ، أنني بحاجة إلى أن أشم فيك رائحة بقائي، أأعلنت الرحيل وتركتني وحدي ؟ الدروب ستدفنك بلا كفن،كيف لك إن تطلق عنان حصانك وتتركني أصارع هذه الوحدة المدمرة (تصرخ بقوة أكثر) حيهل ٠٠ أين أنت؟٠٠٠٠ دمار وضع مخالبه في عنقك، اختناق ،دخان غطى وجهك الجميل ،أسودت صعد خيط الدخان ، ادلهمت السماء ،رعد ،برق،لاتمطر (تصيح) هل من فنبرة تنوير تضيء ذاكرتي (تتوقف ،تفتح زر المذياع برعب)

صوت المذياع : أيها السادة المستمعون ، إليكم هذا الخبر ، حسمت المعركة بأنتصار ساحق و٠٠٠٠ الأم : (تقاطع صوت المذياع صارخة به) كف أيها الصوت الملعون ، يكفي أخبارا ، أين ولدي؟

صوت المذياع : من ولدك ؟

الأم : حيهل ٠٠ ذهب إلى هناك ولم يأت٠

صوت المذياع: (يضحك بسخرية) أنت امرأة عقيمة ،عاقر،مجدبة٠٠٠ !!

الأم : عاقر كلا ، أنه حيهل ٠٠٠٠

صوت المذياع : ليس لك أبناء أنت ٠٠٠٠ فقاعة ماء٠

الأم: (بصبر نافذ) أنت واهم٠

صوت المذياع: خمسة وعشرون عاما وأنت مع الوهم أيتها العاقر٠

الأم: وحيهل؟

صوت المذياع:كذبة كبيرة٠

الأم :كلا٠٠ (تغلق زر المذياع بعنف ،تركله بقدمها بقوة)٠٠ يكفي مزاحا يا حيهل هيا أخرج أين تختبئ أخرج وقل لهم أنا أمك ٠٠٠ (تبحث عنه في زوايا الغرفة بهلع)

(انتقال إلى ٠٠٠٠)

الخطوة الثامنة :

الأم : (تحتضن الدمية٠٠ تتحدث معها) أين كنت يا طفلي (تعانقها) أحقا أنا امرأة عاقر كما يقولون؟ كلا٠٠٠ وأنت ابن من أذن،إن لم تكن أبني؟ لم تذهب بعيدا عن أمك؟حيهل بخير،ما دمت موجودا بين يدي نم يا صغيري، الأخبار لا تطمئن، نم سأغنى لك حتى تنام٠

(انتقال الى٠٠٠٠)

الخطوة التاسعة والأخيرة:

(تختفي الملابس والرسائل،الإطارات الفارغة سقطت في المكان ،ويختفي المنظار ، النافذة مغلقة ،الأم تلف الدمية بقطعة قماش أبيض ،تضعه في المهد،تتحدث معه)٠٠

الأم: لاتبك ،لا أستطيع البقاء أكثر ، أنا قلقة على حيهل ،سأدثرك يا صغيري وأخرج انتظرني هنا ،لا تبك يصعب علي تركك هنا وحدك ،ولكن هذا قدرنا يا ٠٠٠ حيهل ! سأتي به ٠٠ لم تكذبني؟ أصدقت أنني امرأة عاقر؟٠٠٠ كلا يا طفلي ،سأخرج للبحث على أمل إن أعثر عليه٠٠ أكاد أختنق بين هذه الجدران الأربعة،ساكنة لا تتحرك فيها قدماي ، أشعر برتابة مقرفة ،ملل٠٠ لابد من بصيص ضوء ينير دربي ،ابق هنا ،لن تأتي معي ، انتظرني يا صغيري٠٠ سأعود حاملة شعلة الحياة التي انطفأت هنا ، أنتظرني٠٠٠ (تهز المهد ببطئ، تترنم بأغنية هادئة،بصوت عذب٠٠ بعدها تخرج مسرعة٠٠٠ فيما كان صوت المذياع يعلن عن بدء ٠٠٠ معركة جديدة)٠٠٠

(لم تنته)

الهوامش

١. فضاء ألدمية :ياسر عبد الصاحب ،مخطوط :٨ ٠
٢. جريدة العراق ،العراق،ع ٦٢٠٧ ،١٩٩٧ :١٤ ٠
٣. مسرحية حيهل :علي عبد النبي،مخطوط:٧ ٠
٤. المصدر نفسه:٩
٥. ثامن أيام الأسبوع : علي عبد النبي الزيدي ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ٢٠٠٢ ، ١٤٥ .
٦. حديث شخصي مع الأستاذ علي عبد النبي،بتاريخ٢٠٠٦/٨/٢٥ ،أذن بنشره٠

مصادر البحث

أولا الكتب :-

١. ثامن أيام الأسبوع :علي عبد النبي الزيدي،دار الشؤون الثقافية العامة،بغداد،٢٠٠٢.
٢. فضاء الدمية:ياسر عبد الصاحب،مخطوط٠
٣. مسرحية حيهل:علي عبد النبي،مخطوطة٠

ثانيا الصحف:-

١. جريدة العراق ، بغداد ، ١٩٩٧ .

ثالثا الأحاديث الشخصية:-

١. حديث شخصي مع الأستاذ علي عبد النبي،بتاريخ ٢٠٠٦/٨/٢٥ ،الناصرية٠